

المزهر في علوم اللغة وأنواعها

العباس ابن عمه - وكان من أهل العلم - قال : شهدت ليلة من الليالي بالبادية وكنت نازلاً عند رجل من بني الصّيداء من أهل القاصيم فأصبحت وقد عزمت على الرجوع إلى العراق فأتيت أبا مَثْوَياي فقلت : إني قد هَلَعْتُ من الغربية واشتَقْتُ أهلي ولم أُفِدْ في قَدَمِي هذه عليكم كبيرَ علم وإنما كنت أَعْتَفِر وحشة الغربية وِجَفَاء البادية للفائدة فأظهر توجُّعاً ثم جفاء ثم أبرز غداء فتغديت معه وأمر بناقة له مَهْرِيَة فارتحلها واكْتَفَلها ثم ركب وأرْدَفَنِي وَأَقْبَلَهَا مَطْلَع الشمس فما سرنا كبير مسير حتى لَقِينَا شيخاً على حمار وهو يترنم فسلمم عليه صاحبي وسأله عن نسبه فاعْتَزَى أسدياً من بني ثعلبة فقال : أتُنشد أم تقول فقال : كُلاًّ فقال : أين تُوْم فأشار بيده إلى ماء قريب من الموضع الذي نحن فيه فأناخ الشيخ وقال لي : خذ بيد عمك فأنزله عن حماره ففعلت فألقى له كساءً ثم قال : أنشدنا - يرحمك الله - وتصدّق على هذا الغريب بأبيات يَعيهنّ عنك ويذكرك بهن فقال : إيها الله إذا ! ثم أنشدني : [- من الطويل -] .

(لقد طال يا سوداء منك المواعد ... ودون الجَدَا المأمول منك الفَراقْدُ) .

(تمنينا غداً وغيمكم غداً ... ضبابٌ فلا صحوٌ ولا الغيم جائد) .

(إذا أنت أَعْطيت الغنى ثم لم تَجِدْ ... بفَضْل الغنى أُلْفيت مالَك حامدٌ) .

(وقلّ غَناءٌ عنك مالٌ جمعته ... إذا صار ميراثاً ووَاراك لاحد) .

(إذا أنت لم تَعْرُكْ بجنبك بعض مَآ ... يريبُ من الأدنى رَمَاك الأباعدُ) .

(إذا الحلم لم يَغلب لك الجهلَ لم تزل ... عليك بِرُوقِ جَمَّةٍ ورواعد) .

(إذا العزم لم يَفْرُج لك الشَّدَّ لم تزل ... جنيباً كما استتلى الجنيبة قائد) .

(إذا أنت لم تترك طعاماً تحبُّه ... ولا مَقْعَدَاً تُدعى إليه الولائد) .

(تجللت عاراً لا يزال يشبُّه ... سباب الرجال : نثرهم والقصائد) وأنشدني أيضاً : [- من الطويل -] .

(تعزُّ فإن الصبر بالحرِّ أجمل ... وليس على رَيب الزمان مُعَوَّل)